ما ينشر في هذه الصفحة لايعبر بالضرورة عن رأي الصحيفة

ثقافة المقاومة مقابل اللامبالاة بالقضايا الوطنية

إيهاب شوقي

تزامن تفشي وباء فيروس كورونا مع مرحلة شهدت مدًّا لثقافة اللامبالاة بالقضايا الوطنية والقومية لدى قطاعات عريضة من الشعوب.

وربما منبع هذه الحالة يعود لعقود طويلة من غرس ثقافة الاستسلام بدعوى السلام، وكذلك تشويه ثقافة المقاومة ووضعها في خانة المغامرة والرعونة!

ورغم محطات النصر المتعددة للمقاومة ولحظات الاستفاقة الشعبية المتزامنة مع هذه المحطات، الا أن الحالة العامة للانظمة الرسمية، والاغراق بالثقافة الاستهلاكية والانفتاح غير المحسوب، جعل من الاستسلام واللامبالاة والاستسهال عامًّا، والمقاومة والمواجهة والاستقلال خاصا واستثنائيا.

ومع بزوغ شمس الوباء وحالة الرعب التي تزايدت تدريجيًا لتصل لحالة عامة مفادها الاحباط والخوف وغياب الأفق مع عدم وضوح ضوء في نهاية النفق، بدت هناك اجراءات استثنائية للدفاع الذاتي عن النفس وفقًا لغريزة البقاء.

وباتت هناك حالة من الانغلاق المؤقت على الذات كوقفة تشبه الوقفة التعبوية في المعارك، وما يحدث بها من تقييم واعادة للحسابات والتوازنات والاستعداد لمواجهة الخطر واتخاذ ما يليق بالوضع من كر أو فر.

اكتشفت الشعوب أن الانفتاح غير المحسوب هو خطر، وأن عدم الاكتفاء الذاتي انتحار، وأن افتقاد المناعة ووسائل مواجهة الخطر هو عجز قاتل.

وبتأمل ثقافة المقاومة، فإنها تعتمد على ثوابت وأعمدة فكرية وعملية، يمكن رصد أهمها وأهم ما يقابلها في الواقع الصحي والاجتماعي الراهن كما يلي:

١- تعتمد المقاومة على امتلاك وسائل القوة والردع، وهو ما يقابل امتلاك جهاز مناعي قوي يمكنه مقاومة أي هجوم ميكروبي وفيروسي وارد.

٢- تعتمد المقاومة على فرز الثقافات بوعي وعدم السماح لتسرب ثقافات واردة تخترق الهوية.

٣- تتميز المقاومة بروح مقاتلة ومعنويات عالية وثقة ايمانية بالغة بالنصر، وهو ما يقابل طبيًا ارتفاع المناعة والتغلب على الأمراض تبعًا للقوة الروحية والمعنوية وارادة الحياة والثقة بالنصر على المرض ومسبباته.

هذه التشابهات الفكرية والعملية بين مقاومة الهيمنة والاستعمار، ومقاومة المرض والوباء، يضاف اليها مصاديق عملية، أثبتت قوى المقاومة من خلالها جهوزية كبيرة في مقاومة الكوارث والأوبئة كما أثبتت جهوزيتها في ميادين المعارك.

ولعل ما أبدته المقاومة من خطوات تنظيمية لمواجهة الوباء وروح عالية مبادرة للتعاون والانقاذ هو ميراث حالة التعبئة المستمرة وهو جزء لا يتجزأ من ثقافتها وممارستها العملية.

لعل الشعوب بعد ما اكتشفته من زيف العولمة بمضامينها القائمة على تذويب الهويات وتمييع الثوابت والقضايا الوطنية والتجارة الحرة غير المتكافئة والاعتماد على الريع بدلا من الانتاج، لعلها تعي ان ذلك مرض لا يقل خطورة عن اي وباء.

ولعل الشعوب تفطن الى أن الاستقلال الوطني والتنمية المستقلة والاعتماد على الانتاج ومواجهة الهيمنة، هي السياسات الحامية والجهاز المناعي امام اي مخاطر او كوارث من اي نوع.

باتت الشعوب تعلم الآن سبيل النجاة من الوباء، عبر العزل عن المرضى والمصابين واستعمال وسائل الحماية عند الاختلاط وعبر انتظار لقاح لمواجهة الفيروس ودواء لتداعياته.

كما باتت تعلم أن الفيروس ضعيف ولكنه ماكر ويفتك بالجسد الضعيف ذي الامراض المزمنة والمناعة الضعيفة بعد تسلله بخبث.

وهو ما يعني امتلاك جسد صحيح وجهاز مناعي قوي والتسلح بالحذر عند الانفتاح وعدم السماح بتذويب الهوية والتسلح بوسائل المقاومة والردع.

لعل الشعوب تستعيد ثقافة المقاومة والتي تثبت يومًا بعد يوم أنها الدرع الواقي من اي اختراقات، ومصداقها تحجيم وردع اكبر فيروس تاريخي وهو العدو الاسرائيلي وعدم السماح لاكبر مرض تاريخي بالفتك بالجسد وهو اميركا، والقضاء على كافة الجراثيم والميكروبات التاريخية المتمثلة في التكفيريين.

القائد: لا يحاور الكيان الصهيوني إلا بالقوة وحماس وحزب الله والجهاد أتمّوا الحجة

طهران - كيهان العربي:- القى قائد الثورة الاسلامية آية اللّه السيد علي الخامنئي امس الجمعة خطابا متلفزا بمناسبة يوم القدس العالمي.

بسم اللّه الرحمن الرحيم

والحمد للّه ربّ العالمين وصلّى اللّه على محمد وآله الطاهرين وصحبه المنتجبين ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين.

تحية من اللّه طيبة مباركة أبعثها إلى جميع أبناء أمتنا الإسلامية من إخوة وأخوات، سائلاً اللّه لهم قبول الطاعات في شهر رمضان المبارك وأبارك لهم مقدّماً عيد الفطر السعيد، شاكراً للّه سبحانه أن أنعم علينا بالحضور في شهر الضيافة الإلهية.

اليوم، يوم القدس، يوم أقدم على إعلانه الإمام الخميني (رضوان اللّه تعالى عليه) بابتكار ذكي ليكون حلقة وصل بين نداءات المسلمين بشأن القدس الشريف وفلسطين المظلومة، وكان له في هذه العقود الأخيرة دوره الفاعل وسيكون له في المستقبل إن شاء اللّه مثل هذا الدور. الشعوب رحبّت بيوم القدس، باعتباره الواجب الأول أعني ابقاء راية تحرير فلسطين مرفوعة مرفرفة. سياسة الاستكبار والصهيونية تتركز على تغييب المسألة الفلسطينية من ذاكرة المجتمعات المسلمة، والواجب الفوري هو التصدّي لهذه الخيانة التي تحاك بيد عملاء العدو السياسيين والثقافيين في داخل البلدان الاسلامية. والحقيقة أن مسألةً بعظمة المسألة الفلسطينية لا يمكن لغَيرة الشعوب المسلمة وثقتهم بأنفسهم ووعيهم المتزايد أن تسمح بنسيانها، مهما جنّدت أميركا وغيرها من السلطويين وأجرائهم في المنطقة كل أموالهم وقواهم على هذا السبيل.

أول الحديث استعادة الذاكرة بشأن المأساة الكبرى التي حلّت باغتصاب فلسطين وزرع الغدة السرطانية الصهيونية فيها. لا توجد بين الجرائم البشرية في العصور القريبة من عصرنا الراهن جريمة بهذا الحجم وبهذه الشدّة. اغتصاب بلد وتشريد أهله تماماً من بيوتهم وأرض آبائهم وأجدادهم، كل ذلك بأبشع أنواع القتل وإهلاك الحرث والنسل، ثم استمرار هذا الظلم التاريخي لعشرات السنين.. هو حقاً رقم قياسي جديد من الوحشية والتشيطن على الساحة البشرية.

العامل والمجرم الأصلي في هذه المأساة البلدان الغربية وسياساتها الشيطانية حين عمدت الدول المنتصرة في الحرب العالمية الأولى إلى تقسيم منطقة غرب آسيا أي القسم الآسيوي من الأرض الخاضعة للحكومة العثمانية، باعتبارها من أهم غنائم الحرب في مؤتمر باريس، كانوا بحاجة الى قاعدة آمنة في قلب هذه المنطقة لضمان المزيد من تسلطهم الدائم عليها. قبل ذلك بسنوات كانت بريطانيا بمشروع بالفور قد مهدت لذلك، وبالتعاون مع أرباب الأموال اليهود قد استحدثت بدعة باسم الصهيونية لتقوم بهذا الدور، ثم توفرت الأجواء للتنفيذ.

منذ تلك السنين رتبوا المقدمات، ثم بعد الحرب العالمية الثانية اغتنموا فرصة غفلة دول المنطقة ومشاكلها فأنزلوا ضربتهم وأعلنوا هذا الكيان الزائف، الكيان الصهيوني الخالي من الشعب.

كان المستهدف من هذه الضربة بالدرجة الأولى الشعب الفلسطيني، ومن بعده شعوب المنطقة بأجمعها.

نظرة على ما تلا ذلك من الحوادث في المنطقة تبين أن الهدف الأصلي والقريب للغربيين والكارتلات اليهودية من إيجاد الكيان الصهيوني كان هو بناء قاعدة لتواجدهم ونفوذهم الدائم في غرب آسيا ليتمكنوا من التدخل وفرض السيطرة على شعوب المنطقة كلها. من هنا فإنهم أغدقوا على هذا الكيان المفتعل والغاصب أنواع إمكانات القوة العسكرية منها وغير العسكرية، بما في ذلك الأسلحة النووية، ووضعوا في برنامجهم هذه الغدة السرطانية لتمتد من النيل إلى الفرات.

ومن المؤسف أن معظم الدول العربية، بعد أن أبدت في البداية مقاومة كان بعضها يستحق الثناء، قد استسلمت بالتدريج، خاصة بعد دخول الولايات المتحدة الأمريكية على أنها المتولي للمسألة، ونسيت واجبها الإنساني والإسلامي والسياسي كما نسيت أيضاً غيرتها ونخوتها العربية، واتجهت لمساندة أهداف العدوّ تحدوها آمال واهية. وكمب ديفيد مثال واضح لهذه الحقيقة المرة.

الفصائل المكافحة الفلسطينية هي أيضاً بعد أن قامت بعمليات جهادية وقدمت تضحيات على هذا الطريق في السنوات الأولى، انجرت بالتدريج إلى نهج خائب في إجراء محادثات مع المحتل وحماته وتركت نهجها الذي كان يستطيع أن ينتهي بتحقيق الآمال الفلسطينية. المحادثات مع أمريكا والدول الغربية الأخرى، وكذلك مع المجامع الدولية العديمة الفائدة هي تجربة مرة خاسرة في مسيرة القضية الفلسطينية. غصن الزيتون في الجمعية العامة للأمم المتحدة لم تكن له نتيجة سوى اتفاق أوسلو الخاسر، ثم انتهى أيضاً بمصير ياسر عرفات ومافيه عِبَر.

بزوغ فجر الثورة الاسلامية في ايران فتح فصلاً جديداً في النضال من أجل فلسطين، ابتداءاً من الخطوة الأولى أي طرد العناصر الصهيونية التي كانت تعتبر إيران في عصر الطاغوت إحدى قواعدها، وتسليم السفارة غير الرسمية للكيان الصهيوني في طهران لممثلي فلسطين، وقطع إمداد النفط، حتى الأعمال الكبيرة والنشاطات السياسية الواسعة.. كلها أدت الى ظهور «جبهة المقاومة» في المنطقة كلها، وأحيت الأمل في القلوب بحلّ القضية. بظهور جبهة المقاومة فإن العقبات أمام الكيان الصهيوني صارت أصعب فأصعب، وستصبح أكثر صعوبة إن شاء اللّه، لكن مساعي حماة هذا الكيان وعلى رأسهم أميركا في الدفاع عنه قد ازدادت بشدّة. ظهور القوة المؤمنة الفتية والمضحية من حزب اللّه في لبنان، وتشكيل المجاميع الناهضة من حماس والجهاد الإسلامي داخل حدود فلسطين، قد أثار الاضطراب والهلع لا بين الصهاينة فحسب، بل أيضاً بين حكام أميركا وحكام الغرب، فعمدوا الى استمالة الاتباع من داخل المنطقة وداخل المجتمع العربي ووضعوا ذلك في رأس قائمة اهتماماتهم بعد بذل كل ألوان الدعم الناعم واللوجستي لهذا الكيان الغاصب. ونتيجة هذه الأعمال الضخمة ماثلة اليوم للعيان في تصرفات وأقوال بعض حكام الدول العربية وبعض الخونة من النشطاء السياسيين والثقافيين.

النشاطات المتنوعة تجري اليوم على ساحة الصراع في الجانبين مع فارق هو أن جبهة المقاومة تتصاعد فيها القوة، ويزداد الأمل واستحصال المزيد من عناصر الاقتدار، وبالعكس فإن جبهة الظلم والكفر والاستكبار تنحدر باستمرار نحو الخواء واليأس والضعف. الدليل الواضح على ذلك أن الجيش الصهيوني الذي كان يوماً الجيش الذي لا يقهر وأنه القادر بضربة خاطفة أن يصدّ الجيوش الكبرى لبلدين مهاجمين خلال بضعة أيام، هو اليوم مضطر الى الانسحاب أمام القوة الشعبية المناضلة في لبنان وغزة وإلى الأعتراف بالهزيمة.

مع ذلك فإن ساحة المواجهة خطيرة جداً وقابلة للتغيير وبحاجة إلى مراقبة دائمة، وموضوع هذا النضال حياتي ومصيري وعلى غاية من الأهمية. وأية غفلة وتساهل وخطأ في المحاسبات الأساس ستُنزل خسائر فادحة.

على هذا الأساس أتوجه بعدد من التوصيات لكل الذين يحملون همّ القضية الفسطينية:

١- النضال من أجل فلسطين جهاد في سبيل اللّه وفريضة إسلامية لازمة. والنصر في ساحة الكفاح هذه مضمون، إذ من يقتل في هذا الطريق فقد نال إحدى الحسنيين. أضف إلى أن القضية الفلسطينية مسألة إنسانية، إخراج الملايين من الناس من بيوتهم ومزارعهم ومحل معيشتهم وكسبهم، كل ذلك بالقتل وارتكاب ألوان الجرائم بجرح الضمير الإنساني ويوجعه، ويدفع في حال توفر الهمة والشجاعة إلى التصدّي له. إذن حصر القضية في النطاق الفلسطيني، أو على الأكثر العربي، هو خطأ فادح.

أولئك الذين يرون في تنازل بعض العناصر الفلسطينية أو عدد من حكام البلدان العربية مجوّزاً للعبور من هذه المسألة الإسلامية والإنسانية، قد وقعوا بشدّة في خطأ لفهم المسألة، وقد يكونون قد ارتكبوا خيانة في تحريفها.

٢- هدف هذا النضال تحرير الأرض الفلسطينية باجمعها من البحر الى النهر، وعودة الفلسطينيين بأجمعهم الى ديارهم. والتقليل من هذا الهدف وجعله مجرد إقامة دولة في زاوية من هذه الأرض، وبالطريقة الموهنة التي يذكرها الصهاينة في أدبياتهم الوقحة ليس مِنْ طلب الحق في شيء ولا من دلائل النظرة الواقعية. الواقع أن ملايين الفلسطينيين قد ارتقوا إلى مستوى من التفكير والتجربة والثقة بالنفس بحيث يدعوهم الى أن يعقدوا العزم على هذا الجهاد الكبير، وأن يثقوا بالنُصرة الإلهية والانتصار النهائي حيث قال سبحانه: [وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ] ولا شك أن كثيراً من المسلمين في أرجاء العالم سيساعدوهم وسيواسوهم إن شاء اللّه تعالى.

٣- مع أن الاستفادة من أي إمكان حلال ومشروع في هذا النضال هو جائز، بما في ذلك الدعم العالمي، ولكن من المؤكد أن الاعتماد على الدول الغربية وعلى المحافل الدولية المرتبطة بهذه الدول ظاهراً أو باطناً يجب الحذر منه بشكل مؤكد فهؤلاء يعادون أي وجود إسلامي فاعل، ولا يعيرون أهمية لحقوق الناس والشعوب، وهم وراء أكثر الخسائر والجرائم التي حلّت بالأمة الإسلامية. والآن أية مؤسسة دولية أو أية قوة اجرامية تتحمل مسؤولية الاغتيالات، المجازر والحروب، والدمار، والمجاعات المصطنعة في عدد من البلدان الإسلامية والعربية!

العالم اليوم يحصي عدد المصابين بالكورونا واحداً واحداً في أرجاء العالم، ولكن لم يسأل أحد ولا يسأل من هو الفاعل والمسؤول عن مئات الآلاف من الشهداء والأسرى والمفقودين في البلدان التي أشعلت فيها أميركا وأوروبا نيران الحروب؟ من المسؤول من كل هذه الدماء التي أريقت بدون حق في أفغانستان واليمن وليبيا والعراق وسوريا والبلدان الأخرى! لماذا لم يحص أحد هذه الملايين من الأطفال والنساء والرجال المظلومين في العالم الإسلامي؟ لماذا لم يرفع أحد صوت التعزية بما ينزل بالمسلمين من مجازر؟ لماذا يجب أن يبقى الملايين من الفلسطينيين سبعين سنة في المنافي بعيدين عن أرضهم وديارهم؟ لماذا تنزل بالقدس الشريف، قبلة المسلمين الأولى كل هذه الاهانات؟ منظمة ما يسمى بالأمم المتحدة لا تقوم بواجبها، ومؤسسات ما يسمى بحقوق الإنسان ميتة. وشعار «الدفاع عن حقوق الأطفال والنساء» لا يشمل المظلومين من النساء والأطفال في اليمن وفلسطين.

هذا هو وضع القوى الظالمة الغربية والمجامع المرتبطة بها. ووضع ذويلهم من حكومات المنطقة في الفضيحة أفظع من ذلك، ويعجز التعبير عن وصفها.

إذن المجتمع المسلم الغيور المتدين يجب أن يعتمد على نفسه وعلى قوته الذاتية، وأن يشمّر عن ساعده القوي ويتكل على اللّه لاجتياز هذه الموانع.

٤- ثمة مسألة مهمة يجب أن لا تغيب عن أنظار النخب السياسية والعسكرية في العالم الإسلامي، وهي السياسة الأميركية والصهيونية في نقل الصراع الى خلف جبهة المقاومة. إضرام نار الحروب الداخلية في سوريا، والحصار العسكري والقتل المتواصل ليلا ونهاراً في اليمن، والإرهاب، والتخريب وانتاج «داعش» في العراق، والقضايا المشابهة في بعض بلدان المنطقة، كلها دسائس من أجل إشغال جبهة المقاومة ومنع الفرصة للكيان الصهيوني. بعض ساسة البلدان المسلمة قد وقعوا عن علم أو دون علم في شباك دسائس الأعداء هذه . والسبيل للتصدي الى تنفيذ هذه السياسة الخبيثة يعتمد بالدرجة الأولى على المطالبة الجادة للشباب الغيارى في أرجاء العالم الإسلامي. الشباب في البلدان الإسلامية كلها وخاصة العربية منها يجب أن لا تغيب عن أنظارهم وصية الإمام الخميني حيث قال كل ما عندكم من صرخات الاعتراض وجهوها إلى أمريكا، وطبعاً أيضاً العدو الصهيوني.

٥- سياسة تطبيع حضور الكيان الصهيوني في المنطقة من المحاور الأساسية لسياسة الولايات المتحدة الأمريكية. بعض الحكومات العربية التي تؤدي دور الأجير في المنطقة ساعية إلى إعداد المقدمات اللازمة لذلك كالعلاقات الاقتصادية وأمثالها. هذه المساعي عقيمة ولا طائل تحتها. الكيان الصهيوني زائدة مهلكة وضرر محض لهذه المنطقة وهو زائل لا محالة، ويبقى سواد الوجه والخزي والعار لأولئك الذين وضعوا إمكاناتهم في خدمة هذه السياسة الاستكبارية. بعضهم يبرر هذا السلوك القبيح بالقول إن الكيان الصهيوني حقيقة واقعية في المنطقة، دون أن يذكروا بأن من الضروري مكافحة الواقع المهلك المضرّ وإزالته. جائحة الكرونا اليوم واقع لا شك فيه، وكل إنسان ذي شعور يرى أن من الواجب مكافحته. وجائحة الصهيونية القديمة سوف لا تبقى دون شك وسيقضى عليها من هذه المنطقة بهمة الشباب الغيارى والمؤمنين.

٦- توصيتي الأساس هي استمرار النضال وترتيب الأمور في المنظمات الجهادية وتعاون مع بعضهم وتوسيع نطاق الجهاد في كل الأراضي الفلسطينية. على الجميع أن يساعدوا الشعب الفلسطيني في هذا الجهاد المقدس. على الجميع أن يسندوا عضد المناضل الفلسطيني ويحموا ظهره ونحن فخورون بأننا سنقدم ما استطعنا على هذا الطريق. لقد كان تشخيصنا يوماً أن المناضل الفلسطيني يتحلّى بالدين والغيرة والشجاعة، ومشكلته الوحيدة هي خلوّ يده من السلاح، وخطتنا بهداية من اللّه سبحانه ومدده لملء هذا الفراغ، وكانت النتيجة أن تغير ميزان القوى في فلسطين، واليوم تستطيع غزّة أن تقف بوجه العدوان العسكري الصهيوني وتنتصر عليه. تغيير المعادلة هذا في القسم المسمى بالأرض المحتلة قادر على أن يدفع بالقضية الفلسطينية نحو مراحلها النهائية. هيئة الحكم الذاتي تتحمل في هذا المجال مسؤولية كبرى .لا يمكن التحدث مع العدوّ الوحشي إلا بالاقتدار ومن موضع القدرة. وأرضية هذه القدرة متوفرة والحمد للّه في الشعب الفلسطيني الشجاع والمقاوم. الشباب الفلسطيني – اليوم متعطش للدفاع عن كرامته. وحماس والجهاد في فلسطين وحزب اللّه في لبنان قد أتمّوا علينا الحجة. العالم لم ينسَ ولن ينسى ذلك اليوم الذي اخترق فيه الصهاينة حدود لبنان وتوغلوا حتى بيروت، وذلك اليوم الذي ارتكب قاتل مجرم باسم اريل شارون مجزرة في صبرا وشاتيلا، وكذلك لم ينس ولن ينسى ذلك اليوم الذي نزل بهذا الجيش نفسه ضربات حزب اللّه القاصمة، فلم يكن أمامه إلاّ الانسحاب من حدود لبنان معترفاً بالهزيمة، بعد أن تكبد خسائر فادحة ، ثم راح يتوسل طالباً وقف إطلاقا النار. هذا هو العضد المشدود، وهذا هو موضع القدرة. والآن دع الدولة الأوروبية الكذائية التي يجب أن تطأطئ رأسها خجلاً إلى الابد من بيعها المواد الكيمياوية لنظام صدام، دعها تعتبر حزب اللّه المجاهد الفخور غير قانوني. غير القانوني هو نظام مثل أمريكا الذي ينتج داعش، ونظام مثل تلك الدولة الأوربية التي ذهب على أثر موادها الكيمياوية الآلاف ضحية في مدينة بانة الإيرانية وحلبجة العراقية.

٧- الكلمة الأخيرة هي أن فلسطين ملك للفلسطينيين وينبغي إدارتها بارادتهم. ما طرحناه من مشروع منذ عقدين من الزمان بشأن إجراء استفتاء بين كل الفلسطينيين بمختلف أديانهم وقومياتهم هو السبيل الوحيد للتغلب على التحديات القائمة والمستقبلية في فلسطين. هذا المشروع يبين إنما يكرره الغربيون في أبواقهم بشأن معاداة اليهودية لا أساس له من الصحة إطلاقاً. في إطار هذا المشروع يشترك اليهود والمسيحيون والمسلمون جنباً الى جنب في استفتاء يعين النظام السياسي لفلسطين. إن الذي يجب ان يزول قطعا هو النظام الصهيوني والصهيونية، فتلك بدعة في الدين اليهودي وغريبة عنه تماماً.

في الخاتمة لابد أن أذكر باعتزاز شهداء القدس من الشيخ أحمد ياسين وفتحي الشقاقي والسيد عباس الموسوي الى الوجه المقاوم الذي لا ينسى الشهيد قاسم سليماني والمجاهد العراقي الكبير أبي مهدي المهندس وغيرهم من شهداء القدس وأحيي روح الإمام العظيم الخميني الذي فتح أمامنا طريق العزّ والجهاد. كما اسأل اللّه سبحانه وتعالى ان يتغمد برحمته الأخ المجاهد المرحوم حسين شيخ الاسلام الذي بذل لسنوات مساعيه على هذا الطريق.

والسلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته

جنوب اليمن بين شدقَيْ التحالف الخليجيّ بتشريع من «عيدروس»

د.وفيق إبراهيم

نوعان من الاشتباكات يهزّان اليمن بكامل مساحاته وبحاره. ففيما تدافع دولة صنعاء، عن وطنها من البحر الأحمر الى الحدود مع السعودية وعمان وبحر عدن حتى مشارف المحيط الهندي في وجه قوات سعوديّة وإماراتيّة ومرتزقة وبعض العناصر من قوات الرئيس المخلوع عبد ربه منصور بتغطيات أميركيّة وبريطانيّة تتقاتل قوى من جنوبي اليمن مع قوى أخرى مثلها مدعومة بقوات إماراتية مع اخرى سعودية تضم نتفاً من مرتزقة هادي.

واذا كانت طبيعة الحرب الأولى بين الجيش اليمني وانصار اللّه وتحالفاتهم واضحة المعالم لجهة إصرارها على تحرير بلادها من قوى خارجية تعمل على احتلاله وتقسيمه واستتباعه.

فإن غموضاً كبيراً يسيطر على الصراع المندلع في الجنوب في مناطق إبين وضواحي عدن وقرن والطربة والشيخ سالم وشقره، وزنجبار بين قوات سعودية معها مرتزقتها من اليمنيين والسودانيين وبين قوات المجلس الانتقالي ومعه تحالفاته من جيش الإمارات وبعض الاتجاهات الجنوبيّة الأخرى.

وهذا إعلان يبدو واضحاً بأن الحرب المندلعة في الجنوب هي حرب سعودية إماراتية على النفوذ في هذا الجنوب أي بين ركني ما أطلق على نفسه اسم التحالف العربي لتحرير اليمن الذي ضم منذ ٢٠١٥ السعودية واليمن ومنصور عبد ربه هادي والمجلس الانتقالي ومعظم قوى الجنوب

وحزب الإصلاح التابع للاخوان المسلمين اليمنيين بتغطية أميركية بريطانية إسرائيلية مصرية.

فإذا كانت حرب هذا التحالف المزعوم مفهومة مع أنصار اللّه في الشمال حسب البرنامج الاصلي الذي أذاعه قبل نصف عقد التحالف من مقر تأسيسه في الرياض عاصمة السعودية، فإن ما ليس مفهوماً على الإطلاق تلك الاشتباكات التي تقسم التحالف المزعوم بين قوات سعودية وانصار وأخرى إماراتية واعوانها وسط حيادية اميركية تلفت النظر وتثير التعجب والحيرة. فهل يشك احد ولو لدقائق بقدرة البيت الابيض ووزير خارجيته «المنفوخ» على إيقاف أي مناوشات عسكرية بين حلفائهم في التحالف وخصوصاً بين السعودية والامارات.

وبإمكان الأميركيين ايضاً ضبط اختلاف حلفائهما على النفوذ في الجنوب، لأن مشروع غزو اليمن ما كان ممكناً لولا انه مشروع اميركي جيوبوليتيك له فروع تجذب السعودية والإمارات بأشكال متعددة، فالسعودية تعتبر أن إضعاف اليمن بالنسبة لدولتها مشروع تاريخيّ يضمن لآل سعود الإمساك بكامل الجزيرة والاستحواذ على مراكز قوة من بحار عدة والمحيط الهندي وتمنع اليمن من بناء دولة لها نفوذ واسع في شبه جزيرة العرب والإقليم. وهذا لا إمكانية لتشكله إلا على حساب تراجع الدور السعودي، فهل من المصادفات ان يكون النفوذ السعودي التاريخي في اليمن هو المسؤول الأساسي عن التأخّر اليمني في التنقيب عن الغاز والنفط؟ وهذا معروف عالمياً.

لذلك فإن هذه المعطيات تظهر أن معارك الحلفاء في الجنوب ليست خارج السيطرة الاميركية من جهة والاتفاق العميق بين طرفيها اللذين يشتبكان في منطقة ويتحالفان في أخرى.

ففي الوقت نفسه الذي يتقاتلان فيه وبعنف شديد في مختلف مناطق الجنوب، يهاجمان معاً مديريات التحيتا وحيس الساحلية، حيث توجد قوات للدولة اليمنية في صنعاء مواصلين شنّ هجمات جوية مشتركة في مناطق الغازة وقانية شمالي شرق محافظة البضاء التي عليها انصار اللّه منذ أسبوع تقريباً.

إن الحرب بين السعودية والإمارات في معظم أنحاء جنوبي اليمن تؤكد أن مشروع التحالف العربي المزعوم هو حرب لاحتلال اليمن ضمن كابوسين اثنين: أميركي عام يريد الإمساك الاستراتيجي باليمن للسيطرة على ممراته الأكثر أهمية في الشرق الاوسط، وسعودي إماراتي لاهتمامات عربية صرفة، بما ينفي اي مصداقية لشعارات خليجيّة تهذي بتجريد اليمن من انصار اللّه، اليس هؤلاء من اليمنيين ويحاربون تحالفاً يخدم الاميركيين والإسرائيليين وكشف عن وجهه الواضح برغبته في تقسيم اليمن وتقاسمه.

هناك سؤال إضافي يكشف قناع التحايل السياسي عند آل سعود الذين يحاربون تركيا في ليبيا ومصر والسودان وينتقدونها في سورية، ويتعاملون معها في اليمن عبر تحالفهم مع حزب الإصلاح الاخواني الى حدود التنسيق العسكري الكامل وبالتالي المشروع السياسي الخفي.

ما هو هذا المشروع؟

أصبح مؤكداً فشل مشروع التحالف العربي المزعوم بإسقاط اليمن، وبات يخشى خسارة كامل هذه المنطقة بما تعنيه من عودة الجنوب والشمال الى تأسيس دولة واحدة قوية.

فاتفق الطرفان على تقاسم الجنوب بين مناطق موالية للسعودية وأخرى للإمارات.

ولان حزب الاصلاح ضروري لإنجاح هذه المعادلة بحكم سيطرته على مأرب والمناطق المحيطة بها وله وجوده في معظم محافظات الجنوب، فكان ضرورياً للسعودية ان تستلحقه بمعادلة التقاسم. وهذا يدخل فوراً النفوذ التركي الى اليمن.

هذا السيناريو يحتاج الى دماء حتى يتشح بشيء من المصداقية. فكانت المعارك بين المجلس الانتقالي الجنوبي بقيادة عيدروس الزبيدي الموالي للإمارات ومعه تحالفاته وبين قوات الرئيس المخلوع عبد ربه منصور هادي المتحالف مع قوى جنوبية اخرى.

يتسبّب هذا القتال في الجنوب حتى الآن بآلاف القتلى والجرحى إلا انه لم يمنع قائد الانتقالي عيدروس الزبيدي من الانتقال المباغت الى الرياض.

فيتبين السبب وهو ان تقاسم «الجنوب» يجري بسرعة بمعادلة لم تعد بعيدة بشكل يصبح فيه الجنوب ثلاثة مواقع نفوذ للسعودية والإمارات وتركيا وسط خضوع للجيوبوليتيك الأميركي الكبير.

النتيجة اذاً تعكس التخوف الاميركي – السعودي الاماراتي من تمرد جنوبي كبير عليهم يلتحق باخوانهم أصحاب النصر في الشمال، فعاجلوا الاتفاق على تقاسم استباقي ليعاودوا التأسيس لحرب ضد دولة صنعاء تشترك فيها تركيا بشكل مباشر على غرار ما تفعله في ليبيا.

هذا ما تنص عليه الوثائق لكن لميادين اليمن حكايات أخرى عن شعب قادر على الحاق الهزائم بالمحتلين، وهذه مرحلة جديدة تدفع الحلف العربي المزعوم الى المصير نفسه للغزاة التاريخيين لليمن السعيد.